قسم اللغة العربية

جامعة غوربنغا، مالده، بنغال الغربية

UNIVERSITY OF GOUR BANGA

النصوص المختارة
للتخصص الفرعي

SELECTED TEXTS
For
MINOR

NEP-2020 based Undergraduate Course Structure
(As per Curriculum and Credit Framework for Undergraduate Programs
i.e FYUGP or Four Years Under Graduate Programs)

ARABIC

P.O.-Mokdumpur, Dist.- Malda
West Bengal, Pin: 732103

SEMESTER- IV

PAPER CODE: ARB-IDC-MN-401

PAPER NAME: Classical Literature and Impact of Arabic on Indian Languages

عباد الرحمن

القرآن الكريم

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)

المنتخب من صحيح البخاري

محمد بن إسماعيل البخارى

عن ابى هريرة رض قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ! من احق بحسن صحابتى ؟ قال : امك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من ؟ قال ثم أمك، قال : ثم من ؟ قال ثم أبوك.

عن ابى هريرة رض عن النبي ﷺ قال : إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: "هذا مقام العائذ بك من القطيعة" قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب! قال: فهو لك.

عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : بينما رجل يمشي بطريق أشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب ثم خرج ؛ فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش ؛ فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ؛ فشكر الله له، فغفر له.

عن إبن عمر رض قال : قال رسول الله ﷺ: ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيؤرثه.

عن أبى هريرة رض عن النبى ﷺقال : من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يؤذى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت.

قال أبو هريرة عن النبى ﷺ"الكلمة الطيبة صدقة".

عن عروة بن زبير أن عائشة رض زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺفقالوا: السام عليكم ! قالت عائشة : ففهمتها، فقلت : عليكم السام و اللعنة. قالت : فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا عائشة! إن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله ﷺ: ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: قد قلت: و عليكم!

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: إياكم و الظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا؛ و كونوا عباد الله اخوانا.

عن إبن عباس رض قال : خرج النبى ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما ؛ فقال : يعذبان، وما يعذبان فى كبير و إنه لكبير ! كان أحدهما لايستتر من البول و كان الآخر يمشى بالنميمة ؛ ثم دعا بجريدة، فكسرها بكسرتين أو ثنتين فجعل كسرة في قبر هذا وكسرة في قبر هذا فقال : لعله يخفف عنهما ما لم تيبسا.

عن سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع رسول الله ﷺإلى خيبر، فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك .و كان عامر رجلا شاعرا .فنزل يحدو بالقوم و يقول :

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا و لا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فدى لك ما اقتفينا و ثبت الاقدام إن لاقينا

و القيا سكينة علينا إنا إذا صيح بنا أتينا

و بالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ فقالوا : عامر بن الأكوع ! فقال : يرحمه الله!

أمر الخاتم

البلاذري

حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا شعبة قال: أنبأ قتادة، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى ملك الروم قيل له: إنهم لا يقرأون الكتاب إلا أن يكون مختوما. قال: فاتخذ خاتما من فضة. فكأني أنظر إلى بياضه في يده. ونقش عليه: محمد رسول الله.

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني قال حدثنا حماد بن زيد قال: أنبأنا أيوب، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة، وجعل فصه من باطن كفه.

حدثني محمد بن حيان الحياني قال حدثنا زهير عن حميد، عن أنس بن مالك قال: كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة كله وفصه منه.

حدثنا عمرو الناقد قال: حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن الحسن قال: كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورق، وكان فصه حبشيا.

حدثنا هدبة بن خالد قال: حدثنا همام بن يحيى، عن عبد العزيز ابن صهيب عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قد صنعت خاتما فلا ينقشن أحد على نقشه.

حدثنا بكر بن الهيثم قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري وقتادة قالا: اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة، ونقش عليه محمد رسول الله. فكان أبو بكر يختم به، ثم عمر ثم عثمان، وكان في يده فسقط من يده في البئر، فتزفت فلم يقدر عليه، وذلك في النصف من خلافته، فاتخذ خاتما ونقش عليه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر .

من حدثنا هناد قال: حدثنا الأسود بن شيبان قال أخبرنا خالد بن سمير قال: انتقش رجل يقال له معن بن زائدة على خاتم الخلافة. فأصاب مالا خراج الكوفة على عهد عمر، فبلغ ذلك عمر فكتب إلى المغيرة بن شعبة : إنه بلغني أن رجلا يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة، فأصاب به مالا من خراج الكوفة . فإذا أتاك كتابي هذا فنفذ فيه أمري، وأطع رسولي فلما صلى المغيرة العصر وأخذ الناس مجالسهم خرج ومعه رسول عمر فاشراب الناس ينظرون إليه حتى وقف على معن. ثم قال للرسول: إن أمير المؤمنين أمرني أن أطيع أمرك فيه فمرني بما شئت فقال الرسول: ادع لي بجامعة أعلقها في عنقه، فأتى بجامعة فجعلها في عنقه وحبذها حبذا شديدا. ثم قال للمغيرة احبسه حتى يأتيك فيه أمر أمير المؤمنين. ففعل. وكان السجن يومئذ من قصب، فتمحل معن للخروج، وبعث إلى أهله: أن ابعثوا لي بناقتي وجاريتي وعباءتي القطوانية. ففعلوا.

فخرج من الليل وأردف جاريته، فسار حتى إذا رهب أن يفصحه الصبح أناخ ناقته وعقلها، ثم كمن حتى كف عنه الطلب. فلما أمسى أعاد على ناقته العباءة وشد عليها وأردف جاريته، ثم سار حتى قدم على عمر، وهو موقظ المتهجدين لصلاة الصبح ومعه درته. فجعل ناقته وجاريته ناحية ثم دنا من عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال: وعليك من أنت؟ قال: معن بن زائدة جئتك تائبا، قال: انت فلا يحييك الله. فلما صلى صلاة الصبح قال للناس: مكانكم.

فلما طلعت الشمس قال: هذا معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب فيه مالا من خراج الكوفة، فما تقولون فيه؟ فقال قائل: اقطع يده. وقال قائل: أصلبه. وعلى ساقط فقال له عمر ما تقول أبا الحسن قال: يا أمير المؤمنين رجل كذب كذبة عقوبته في بشره. فضربه عمر ضربا شديدا -أو قال مبرحا - وحبسه فكان في الحبس ما شاء الله.

ثم إنه أرسل إلى صديق له من قريش: أن كلم أمير المؤمنين في تخلية سبيلي. فكلمه القرشي فقال: يا أمير المؤمنين معن بن زائدة قد أصبته من العقوبة بما كان له أهلا، فإن رأيت أن تخلى سبيله فقال عمر : ذكرتني الطعن وكنت ناسيا على بمعن فضربه ثم أمر به إلى السجن فبعث معن إلى كل صديق له: لا تذكروني لأمير المؤمنين. فلبث محبوسا ما شاء الله. ثم إن عمر انتبه له، فقال: معن فأتى به فقاسمه وخلى سبيله.

حدثني المفضل اليشكري وأبو الحسن المدائني عن ابن جابان، عن ابن المقفع قال: كان ملك الفرس إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع بين يديه، وله خادم يثبت ذكره عنده في تذكرة تجمع لكل شهر، فيختم عليها الملك خاتمه، وتخزن ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب الزمام وإليه الختم فينفذه إلى صاحب العمل. فيكتب به كتابا من الملك وينسخ في الأصل، ثم ينفذ إلى صاحب الزمام فيعرضه على الملك، فيقابل به ما في التذكرة، ثم يختم بحضرة الملك أو أوثق الناس عنده.

وحدثني المدائني عن مسلمة بن محارب قال: كان زياد بن أبي سفيان أول من اتخذ من العرب ديوان زمام وخاتم امتثالا لما كانت الفرس تفعله.

حدثني مفضل اليشكري قال: حدثني ابن جابان، عن ابن المقفع قال: كان لملك من ملوك فارس خاتم للسر، وخاتم للرسل، وخاتم للتخليد، يختم به السجلات والاقطاعات وما أشبه ذلك من كتب التشريف، وخاتم للخراج.

فكان صاحب الزمام يليها. وربما أفرد بخاتم السر والرسائل رجل من خاصة الملك.

وحدثني أبو الحسن المدائني عن ابن جابان عن ابن المقفع قال: كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملك، وهي يومئذ تكتب في صحف بيض. وكان صاحب الخراج يأتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما اجتبى من الخراج، وما أنفق في وجوه النفقات، وما حصل في بيت المال فيختمها ويجريها. فلما كان كسرى بن هرمز ابرويز تأذى بروائح تلك الصحف وأمر أن لا يرفع إليه صاحب ديوان خراجه ما يرفع إلا في صحف مصفرة بالزعفران وماء الورد، وأن لا تكتب الصحف التي تعرض عليه بحمل المال وغير ذلك إلا مصفرة، ففعل ذلك.

فلما ولى صالح بن عبد الرحمن خراج العراق تقبل منه ابن المقفع بكور دجلة ويقال بالبهقباذ فحمل مالا فكتب رسالته في جلد وصفرها. فضحك صالحوقال: أنكرت أن يأتي بها غيره يقول: لعلمه بأمور العجم.

قال أبو الحسن وأخبرني مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت في قراطيس، وكذلك الكتب إلى ملوك بني أمية في حمل المال وغير ذلك. فلما ولى أمير المؤمنين المنصور أمر وزيره أبا أيوب المورياني أن يكتب الرسائل بحمل الأموال في صحف، وأن تصفر الصحف فجرى الأمر على ذلك.

المرثية

حسان بن الثابت رضي الله عنه

مـا بـالُ عَيـــني لا تَنـامُ كَأَنَّـــما ... كُحِلَـــت مَآقـهـا بِكُـحلِ الأَرمِـدِ

جَـزَعـاً عَلى المَـــهدِيِّ أَصبحَ ثاوِيـــاً ... يـا خَـيرَ مَـن وَطِئَ الحَـصى لا تَبعُدِ

جَنـبي يَقـيكَ التُـربَ لَهـفي لَيتـَني ... غُـــيِّبتُ قَبلَكَ في بَقـــيعِ الغَرقَدِ

أَأُقـيمُ بَعـدَكَ بِالمَـدينـَةِ بَيـنَهُـم ... يا لَـهفَ نَفـسي لَيتَني لَم أولَـــدِ

بِأَبـي وَأُمّـي مَن شَـــهِدتُ وفـــاته ... في يَـــومِ الاِثـــنَينِ النَبِيُّ المُهتَدي

فـظَلِلتُ بَعـدَ وَفـاتِهِ مُـــتَلَـــدِّداً ... يا لَيـــتَني أُسقيتُ سَمَّ الأَســوَدِ

أَو حَـــلَّ أَمـــرُ اللَهِ فـينا عاجِلاً ... مِـــن يَومِنا في رَوحَةٍ أَو فـــي غَدِ

فَتـَقومُ ســاعَـتُنا فَنَـــلقى طَيّـــباً ... مَخـــصاً ضَرائِبُهُ كَريمَ المَحتِـــدِ

يا بِـكرَ آمـِنَةَ المُبـــارَكَ ذِكـــرُهُ ... وَلَـــدَتكَ مُحصَنَةٌ بِسَعدِ الأَسعَدِ

نـــوراً أَضـاءَ عَلى البَـريَّةِ كُلِّـها ... مَـــن يُهدَ لِلنورِ المُبـــارَكِ يَهتَدِ

يا رَبِّ فِـجمَعنا مَعـــاً وَنَـــبِيَّنا ... في جَـــنَّةٍ تُنبي عُيونَ الحُسَّـــدِ

في جـــنَّةِ الـــفِردَوسِ وَاِكتُبها لَـنا ... يـــا ذا الجَلالِ وَذا العُلا وَالسُـؤدُدِ

وَاللَـــهِ أَسمَعُ مـا حَيِيـــتُ بِهالِكٍ ... إِلّا بَكَـــيتُ عَلى النَبِيِّ مُحَمَّـــدِ

يـــا وَيـــحَ أَنصارِ النـــبِيِّ وَرَهطِهِ ... بَعـــدَ المُغَيـــَّبِ في سَواءِ المُلحَدِ

ضـــاقَت بِالاَنصارِ البِلادُ فَأَصـبَحوا ... ســـوداً وُجـوهُهُمُ كَلَونِ الإِثمِـــدِ

وَلَـــقَد وَلَدناهُ وَفيـــنا قَـبرُهُ ... وَفُـــضولَ نِعمَتِهِ بِنا لَم نَجـــحَدِ

وَاللَهُ أَكـــرَمَنا بِهِ وَهَـــدى بِهِ ... أَنصـــارَهُ في كُلِّ ساعَةِ مَشهَـــدِ

صـــلّى الإِلَهُ وَمَن يَحُفُّ بِعَـــرشِهِ ... وَالـــطَيِّبونَ عَلى المُبارَكِ أَحمَـــدِ

فَـــرِحَت نَصارى يَثرِبٍ وَيَهودُه ... لَمّـــا تَوارى في الضَريحِ المُلحَـــدِ

SEMESTER- VII
PAPER CODE: ARB-IDC-MN-701
PAPER NAME: Modern Literature and Contemporary Arab World

صدى الحرب

أحمد شوقي بك

بسَيفِكَ يعلُو الحقُّ والحقُّ أغلَبُ ... ويُنصَر دينُ الله أيَّانَ تَضربُ

وما السيفُ إلا آيةُ المُلك في الورى ... ولا الأمرُ إلا للذي يتغلَّبُ

فأدِّبْ به القومَ الطُّغاةَ فإنهُ ... لَنِعمَ المُربِّي للطُّغاةِ المؤدِّبُ

وداوِ به الدُّولاتِ من كلِّ دائها ... فنِعمَ الحسامُ الطبُّ والمُتطبِّبُ

تنامُ خطوبُ المُلك إن بات ساهرًا ... وإن هو نام استيقظَت تتألَّبُ

أمِنَّا الليالي أن نُراعَ بحادثٍ ... و«أرمينيا» ثَكْلى و«حُورانُ» أشيَبُ

ومملكةُ «اليونان» محلولةُ العُرَى ... رجاؤك يُعطيها، وخوفُك يَسلبُ

هدَدتَ أميرَ المؤمنين كِيانَها ... بأسطَعَ مِثل الصبح لا يتكذَّبُ

وما زال فجرًا سَيفُ «عثمانَ» صادقًا ... يُسارِيه مِن عالي ذكائك كوكبُ

إذا ما صدَعتَ الحادثاتِ بحدِّهِ ... تكشَّفَ داجي الخَطبِ وانجابَ غَيْهبُ

وهابَ العِدا فيه خلافتَك التي ... لهم مَأربٌ فيها ولله مَأربُ

جميل و بثين

جميل صدقي الزهاوي

أبثين إن أدنى العدو حمامي ... بمسدس يوريه أَو بحسامِ

فتجلدي عند الرزية واحسبي ... أني اجتمعت إليك في ألاحلام

والصبر أَجمل إن ألمت نكبة ... بكريمة ينمونها لكرام

أبثين إن أودى جميلك خابطاً ... بدم له اهريق فوق رغام

فتدرعي للخطب صبراً وامسحي ... من أَدمع فوق الخدود سجام

أَنا لست أول هالك في قومه ... يَرجو تقدمهم مع الأقوام

ما زالَ مذ أخذ اليراع بكفه ... يَسعى لينقذهم من الأوهام

أَنا لست وحدي إن هلكت بميت ... كَم من كرام في التراب نيام

عشنا زَماناً في بلهنية الرضى ... متمتعين بألفة ووئام

فإذا هلكت وكل شيء هالك ... فإليك أهدي يا بثين سلامي

لا تجزعي يا بثن إني واثق ... بيراعتي وعواقب الأيام

المجرم

جبران خليل جبران

على قارعة الطريق قعد شاب مستعطيًا. فتى قويّ الجسم أضعفه الجوع فجلس في منعطف الشارع مادًّا يده نحو العابرين متسوّلاً مستغيثًا بالمحسنين، مردّدًا آيات انكساره، شاكيًا آلام جوعه.

خيّم الليل وقد يبست شفتاه وكلّ لسانه ولم تزل يده فارغة مثل جوفه. فقام إذ ذاك وذهب إلى خارج المدينة وجلس بين الأشجار وبكى بكاءً مرًّا. ثمّ رفع نحو السماء عينين يغشاهما الدمع وقال والجوع يلقنه: يا ربّ قد ذهبت إلى الموسر أطلب عملاً، فطردت لرثاثة أثوابي، وطرقت باب المدرسة، فمنعت لفراغ يديّ. ورمت الاستخدام ولو بكفاف يومي، فأُبعدت لسوء طالعي. وأخيرًا سعيت متسوّلاً فرآني عبادك يا ربّ وقالوا هذا قويّ نشيط والإحسان لا يجوز على ابن التواني والكسل. قد ولدتني أمّي بإرادتك يا ربّ، وأنا كائن الآن بكيانك، فلماذا يمنع الناس الخبز عنّي وأنا طالب باسمك؟

في تلك الدقيقة تغيّرت شحنة الرجل اليائس، فانتصب وقد لمعت عيناه كالشهب ثمّ اقتضب من الأغصان اليابسة نبوتًا ضخمًا وأشار به نحو المدينة وصرخ قائلاً: طلبت الحياة بعرق الجبين فلم أجدها، فسوف أحصل عليها بقوّة ساعدي. وسألت الخبز باسم المحبّة فلم يسمعني الإنسان، فسأطلبه باسم الشرّ وأستزيد منه...

مرّت الأيّام والشابّ يقطع الأعناق من أجل الحصول على العقود، ويهدم هياكل الأرواح إن تصدّت لمطامعه. فنمت ثروته وعمّ بطشه وصار محبوبًا من لصوص القوم ومخيفًا لعقلائهم ثمّ انتدبه الأمير وكيلاً عنه في تلك المدينة شأن الأمراء بانتقاء ممثليهم.

كذا يبتدع الإنسان من المسكين سفّاحًا باستمساكه، ومن ابن السلام قاتلاً بقساوته.

المخايل العجيبة

طه حسين

كان مطمئنًّا إلى أن الدنيا تنتهي عن يمينه بهذه القناة التي لم يكن بينه وبينها إلا خُطواتٌ معدودة ... ولِمَ لا وهو لم يكن يرى عَرْضَ هذه القناة، ولم يكن يُقدِّر أنَّ هذا العرض ضئيلٌ بحيث يستطيع الشاب النشيط أن يَثِب من إحدى الحافتيْن فيبلُغ الأخرى؟! ولم يكن يُقدِّر أن حياة الناس والحيوان والنبات تتَّصل من وراء هذه القناة على نحو ما هي من دونها، ولم يكن يُقدِّر أن الرجل يستطيع أن يعبر هذه القناة ممتلئةً دون أن يبلُغ الماءُ إبطَيْه، ولم يكن يقدِّر أن الماء ينقطع من حينٍ إلى حينٍ عن هذه القناة، فإذا هي حفرةٌ مستطيلة يعبَث فيها الصبيان، ويبحثون في أرضها الرِّخوة عما تخلَّف من صِغار السَّمك فمات لانقطاع الماء عنه.

لم يكن يقدِّر هذا كله، وإنما كان يعلم يقينًا لا يُخالطه الظن، أنَّ هذه القناة عالَمٌ آخر مستقلٌّ عن العالم الذي كان يعيش فيه، تعمره كائنات غريبة مختلفة لا تكاد تحصى؛ منها: التماسيخ التي تزدرد الناس ازدرادًا، ومنها المسحورون الذين يعيشون تحت الماء بياض النهار وسواد الليل، حتى إذا أشرقت الشمس أو غربت طفَوْا يتنسَّمون الهواء، وهم حين يطفون خطرٌ على الأطفال وفتنةٌ للرجال والنساء. ومنها: هذه الأسماك الطوال العراض التي لا تكاد تظفر بطفل حتى تزدرده ازدرادًا، والتي قد يُتاحُ لبعض الأطفال أن يظفروا في بطونها بخاتم المُلك؛ ذلك الخاتم الذي لا يكاد الإنسان يُديره في إصبعه حتى يسعى إليه دون لمح البصر خادمان من الجن يقضيان له ما يشاء، ذلك الخاتم الذي كان يتختَّمه سُليْمان فيُسخِّر له الجن والريح وما شاء من قوى الطبيعة. وما كان أحب إليه أن يهبط في هذه القناة لعلَّ سمكةً من هذه الأسماك تزدرده فيظفر في بطنها بهذا الخاتم؛ فقد كانت حاجته إليه شديدةً ... ألم يكن يطمع على أقلِّ تقديرٍ في أن يحمله أحد هذيْن الخادميْن إلى ما وراء هذه القناة ليرى بعض ما هناك من الأعاجيب! ولكنه كان يخشى كثيرًا من الأهوال قبل أن يصل إلى هذه السمكة المباركة.

على أنه لم يكن يستطيع أن يَبْلُو من شاطئ هذه القناة مسافةً بعيدة؛ فقد كان هذا الشاطئ محفوفًا عن يمينه وعن شماله بالخطر، فأما عن يمينه فقد كان هناك العَدَوِيُّون، وهم قومٌ من الصعيد يُقيمون في دارٍ لهم كبيرة يقوم على بابها دائمًا كلبان عظيمان لا ينقطعُ نباحُهما، ولا تنقطع أحاديث الناس عنهما، ولا ينجو المارُّ منهما إلا بعد عناء ومشقة، وأما عن شماله فقد كانت هناك خيامٌ يقيم فيها «سعيدٌ الأعرابيُّ» الذي كان الناس يتحدثون بشرِّه ومكره وحِرصه على سفك الدماء، وامرأته «كوابس» التي كانت قد اتخذت في أنفها حلقةً من الذهب كبيرة، والتي كانت تختلف إلى الدار وتُقبِّل صاحبنا من حينٍ إلى حينٍ، فيُؤذيه خِزَامها ويَرُوعه. وكان أخوَف الأشياء إليه أن يتقدَّم عن يمينه فيتعرَّض لكلبَيِ العَدَوِيّين، أو يتقدَّم عن شماله فيتعرَّض لشر

«سعيد» وامرأته "كوابس". على أنه كان يجد في هذه الدنيا الضيِّقة القصيرة المحدودة من كلِّ ناحية ضروبًا من اللهو والعبَث تملأ نهارَه كلَّه.

ولكنَّ ذاكرة الأطفال غريبة، أو قلْ: إن ذاكرة الإنسان غريبة حين تحاول استعراض حوادث الطفولة؛ فهي تتمثل بعض هذه الحوادث واضحًا جليًّا كأن لم يمض بينها وبينه من الوقت شيء، ثم يمَّحِي منها بعضها الآخر كأن لم يكن بينها وبينه عهد.

يذكر صاحبنا السِّياج، والمزرعة التي كانت تنبسط من ورائه، والقناةَ التي كانت تنتهي إليها الدنيا، و«سعيدًا» و«كوابس» وكلاب العدَويّين، ولكنه يحاول أن يتذكر مصير هذا كله فلا يظفر من ذلك بشيء، وكأنه قد نام ذات ليلة ثم أفاق من نومه فلم ير سياجًا ولا مزرعة ولا سعيدًا ولا كوابس، وإنما رأى مكان السياج والمزرعة بيوتًا قائمة وشوارع منظَّمة، تنحدر كلها من جسر القناة ممتدةً امتدادًا قصيرًا من الشمال إلى الجنوب، وهو يذكر كثيرًا من الذين كانوا يسكنون هذه البيوت رجالًا ونساءً، ومن الأطفال الذين كانوا يعبثون في هذه الشوارع.

وهو يذكر أنه كان يستطيع أن يتقدَّم يمينًا وشِمالًا على شاطئ القناة دون أن يخشى كلاب العدَويّين أو مَكْرَ سعيدٍ وامرأته. وهو يذكر أنه كان يقضي ساعاتٍ من نهاره على شاطئ القناة سعيدًا مبتهجًا بما سمع من نغمات «حسن» الشاعر يتغنَّى بشعره في أبي زيد وخليفة ودياب، حين يرفع الماء بشادوفه ليسقيَ به زرعه على الشاطئ الآخر للقناة. وهو يذكر أنه استطاع غير مرة أن يعبر هذه القناة على كتف أحد إخوته دون أن يحتاج إلى خاتم الملك، وأنه ذهب غير مرة إلى حيث كانت تقوم وراء القناة شجراتٌ من التوت فأكل من توتها ثمراتٍ لذيذة. وهو يذكر أنه تقدَّم غير مرة عن يمينه على شاطئ القناة حتى وصل إلى حديقة المعلِّم وأكل فيها غير مرة تفاحًا، وقُطف له فيها غير مرة نعناعٌ وريحان، ولكنه عاجزٌ كلَّ العجز أن يتذكَّر كيف استحالت الحالُ وتغيَّر وجه الأرض من طوره الأول إلى هذا الطور الجديد.